نظرات في ما أخذه ابن الشجري على مكّي في كتاب «مشكل إعراب القرآن»

— ٢ —

الدكتور أحمد حسن فرحات

١٦ — في إعراب «القريةِ الظالمِ أهلُها» :

قال ابن الشجري (١) : وقال — أي مكي — في قوله تعالى :

«ربَّنا أخرِجْنا من هذه القريةِ الظالمِ أهلُها» : (٢)

«إنما وُحّد الظالم لجريانه على مُوَحّد (٣)». انتهى كلام مكي.

«قوله : وُحّد لجريانه على موحد ، قول فاسد ، لأن الصفة إذا ارتفع بها ظاهر وُحِّدتْ ، وإن جرت على مُثنى أو مجموع ، نحو : مررت بالرجلين الظريف أبواهما ، وبالرجال الكريم آباؤهم ، لأن الصفة التي ترفع الظاهر تجري مجرى الفعل الذي يرتفع به الظاهر ، في نحو : خرج أخواك ، وينطلق غلمانك» انتهى كلام ابن الشجري .

ونلاحظ — هنا — أن ابن الشجري اجتزأ من كلام مكي ولم يذكره

---

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٣

(٢) النساء ٧٥ (٣) مشكل إعراب القرآن ١٩٧/١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كاملاً ، ولو ذكره لتتغيّر مفهوم الكلام ، ولا بأس أن نذكر قول مكي بتمامه لتتضح المسألة :

يقول مكي : « الظالم أهلها : نعت للقرية ، وإنما جاز ذلك والكلام ليس لها ، للعائد عليها من نعتها ، وإنما وحد لجريانه على موحد ، ولأنه لا ضمير فيه ، إذ قد رفع ظاهراً بعده ، وهو « الأهل » ، ولو كان فيه ضمير لم يجز استتاره ولظهر ، لأن اسم الفاعل إذا كان خبراً أو صفة أو حالاً لغير من هو له لم يستتر فيه ضمير ألبتة ، ولا بد من إظهاره . وكذلك إن عطف على غير من هو له . والفعل بخلاف ذلك يستتر الضمير فيه لقوته ، وإن كان خبراً أو صفة أو حالاً لغير من هو له الفعل ، فافهمه ، فإنه مشكل لطيف غريب المعنى » .

وأقول : إن ما قاله ابن الشجري ليس مسلَّماً ، كما أنه ليس على إطلاقه ، وقد ذكر علماء النحو هذه المسألة وفصلوا فيها القول ، ولابأس أن نذكر ما قيل فيها مختصراً :

قال في حاشية الصبان على شرح الأشموني (١) :

« التنبيه الثالث : أفهم قوله : كالفعل — أي حكم الوصف المسند إلى السببي — جواز تثنية الوصف الرافع للسببي وجمعه الجمع المذكر السالم على لغة أكلوني البراغيث ، فيقال : مررت برجل كريمين أبواه ، وجاءني رجل حسنون غلمانُه » .

(١) ج ٣ ص ٦١ — ٦٢ طبع دار إحياء الكتب العربية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال صاحب « النحو الوافي » [١] :

« . . . أما من جهة إفراده وتثنيته وجمعه – أي النعت السببي – فيجب إفراده إن كان السببي مفرداً أو مثنىً ، إذ لا تتصل بالنعت السببي علامة تثنية ، وشأنه في هذا أيضاً شأن الفعل الذي يصلح لأن يحل محله .

أما من جهة جمعه ، فإن كان السببي مجموعاً جمع تكسير جاز في النعت : الإفراد ، ومطابقته للسببي نحو : هؤلاء زملاء كرام آباؤهم ، أو هؤلاء زملاء كريم آباؤهم . فإن كان مجموعاً جمع مذكر سالماً ، أو جمع مؤنث سالماً ، فالأفصح إفراد النعت وعدم جمعه ، نحو : هؤلاء زملاء كريم والدوهم ، هؤلاء زميلات كريمة والداتهن » .

ومما تقدم نرى أن صاحب الحاشية يجيز التثنية والجمع على لغة أكلوني البراغيث ، وأن صاحب النحو الوافي : « يوجب المطابقة حتماً في الإفراد والتثنية ، ويجيز في جمع التكسير المطابقة وعدمها ، وأما في غيره فالأحسن الإفراد » .

وإذن فالمسألة فيها تفصيل ، وليست مسلّمة كما ذكر ابن الشجري ، ولهذا فإن الزمخشري في الكشاف قال [٢] :

فإن قلت : هل يجوز : من هذه القرية الظالمين أهلها ؟ قلت : نعم ، كما نقول : التي ظلموا أهلها ، على لغة من يقول : « أكلوني البراغيث » ، ومنه : « وأسروا النجوى الذين ظلموا » [٣] .

---

(١) النحو الوافي لعباس حسن ج ٣ ص ٣٦٦ – ٣٦٧

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٣٥ (٣) طه ٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذن فكلام مكي « وإنما وحد لجريانه على موحّد » ليس كلاماً فاسداً كما قال ابن الشجري ، وإنما هو في مقابل هذا التفصيل الذي ذكر في حالة الجمع المكسر والجمع المذكر السالم ولغة « أكلوني البراغيث ».

١٧ – في إعراب « الصابئون » :

قال ابن الشجري : (١) وحكى – أي مكي – عن الفراء أن « الصابئون » من قول الله تعالى :

« إنّ الذينَ آمنُوا والذين هادُوا والصابئُون والنصَّارى . . » (٢) :

« معطوف على المضمر في هادوا (٣) » فنَسب إليه ما لم يقله عن نفسه ، وإنما حكاه عن الكسائي . وأبطله الفراء من وجه غير وجه أبطله به مكي ، فقال في كتابه الذي ضمّنه معاني القرآن : قال الكسائي :

تَرْفَعُ « الصابئون » على إتباعه الاسم الذي في « هادوا » ، وتجعله من قوله : « إنا هدنا إليك » (٤) أي : تبنا ، ولا تجعله من اليهودية . قال الفراء : وجاء التفسير بغير ذلك ، لأنه أراد بقوله : الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم . ثم ذكر اليهود والنصارى والصابئين ، فقال : من آمن منهم بالله واليوم الآخر فله كذا وكذا ، فجعلهم منافقين ويهوداً ونصارى وصابئين . انتهى كلام الفراء .

يعني به ، إذا صار معنى « هادوا » : تابوا هم والصابئون بطل ذكر اليهود في الآية .

---

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٣

(٢) المائدة ٦٩ (٣) مشكل إعراب القرآن ٢٣٧/١

(٤) الأعراف ١٥٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الوجه الذي أبطل به مكي قول الكسائي وعزاه إلى الفراء فقوله: « وقد قال الفراء في « الصابئون » : هو عطف على المضمر في « هادوا ». وأيضاً فإن العطف على المضمر المرفوع قبل أن يؤكد أو يفصل بينهما بما يقوم مقام التوكيد قبيحٌ عند بعض النحويين . ثم ذكر وجوهاً في رفع « الصابئين » .

« وأقول — أي ابن الشجري :

إنك إذا عطفت على اسم « إن » قبل الخبر ، لم يجز في المعطوف إلا النصب ، نحو : إن زيداً وعمراً منطلقان ، ولا يجوز أن ترفع المعطوف حملاً على موضع « إن » واسمها ، لأن موضعها رفعٌ بالابتداء ، فتقول : إن زيداً وعمرو منطلقان ، لأن قولك : « عمرو » رفع بالابتداء ، ومنطلقان : خبر عنه ، وعن اسم « إن » . فقد أعملت في الخبر عاملين : الابتداء ، و « إن » .

وغير جائز أن يعمل في اسم عاملان . وإن لم تثنّ الخبر فقلت : إن زيداً وعمرو منطلق ، ففي ذلك قولان . أحدهما : أن يكون خبر « إن » محذوفاً دل عليه الخبر المذكور ، فالتقدير : إن زيداً منطلق وعمرو منطلق ، وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأخفش ، وأبو العباس المبرد .

والآخر : قول سيبويه : وهو أن يكون الخبر المذكور خبر « إن »، وخبر المعطوف محذوفاً ، فالتقدير : إن زيداً منطلق وعمرو كذلك .

فالتقدير في الآية على المذهب الأول : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله ، أي : من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم . فحذف الخبر الأول لدلالة الثاني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه . وعلى المذهب الآخر وهو أن يكون الخبر المذكور خبر « إن » ، وخبر الصابئين والنصارى محذوف ، كأنه قيل : والصابئون والنصارى كذلك » .

وكلام ابن الشجري ـ هنا ـ ذو شقين :

الشق الأول : وهو ما يتعلق بنسبة قول الكسائي إلى الفراء كما نقل ذلك مكي ، واتهمه ابن الشجري بأنه نسب إلى الفراء ما لم يقله ، وإنما نقله عن الكسائي وأبطله بوجه غير الوجه الذي أبطله به مكي .

وقد رجعت إلى كتاب الفراء لأتأكد من صحة النقل فوجدت أن نقل ابن الشجري صحيح ، وأنه يردّ رأي الكسائي . غير أنني رجعت إلى كتاب السمين « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون » ، فوجدته يقول معلقاً على رأي الكسائي :

« . . . وردّه أبو البقاء ومكي بن أبي طالب بوجه آخر ، وهو عدم تأكيد الضمير المعطوف عليه » . قلت ـ أي السمين ـ : هذا لا يلزم الكسائي ، لأن مذهبه عدم اشتراط ذلك ، وإن كان الصحيح الاشتراط . نعم يلزم الكسائي من حيث أنه قال : « تردّه الدلائل الصحيحة ، والله أعلم ».

ثم يتابع السمين قوله :

وهذا القول قد نقله مكي عن الفراء ، كما نقله غيره عن الكسائي وردّه عليه بما تقدم ، فيُحتمل أن يكون الفراء يوافق الكسائي ثم رجع ، ويُحتمل أن يكون مخالفاً له ثم رجع إليه ، وعلى الجملة فيجوز أن يكون في المسألة قولان ـ أي في ردها .

هذا من مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن كلام السمين نرى أنه لا بدّ لمكي من أن يكون قد وقع على قول منسوب إلى الفراء غير ما هو وارد في كتابه « معاني القرآن » ، وبناء عليه نَسب هذا القول إليه .

أما الشق الثاني من الكلام ، وهو قوله : « وأقول : إنك إذا عطفت على اسم « إن » قبل الخبر لم يجز في المعطوف إلا النصب .. » . فلا أدري من يقصد بهـــذا الكلام ، وعلى من يردّ فيه ، والذي يبدو أنه مجرد تفصيل لتمام الفائدة كما هي عادة ابن الشجري في التطوع بالتفصيل والتوضيح ، ولا يمكن أن يكون يريد بكلامه مكياً أبداً لأن مكياً حينما أعرب الآية قال :

« قوله : « والصابئون » : مرفوع على العطف على موضع « إن » وما عملت فيه . وخبر إنّ مَنْويّ قبل الصابئين ، فلذلك جاز العطف على الموضع، والخبر هو: آمن، يُنوى به التقديم ، فحق « والصابئون » ، « والنصارى »: أن يقع بعد يحزنون ، وإنما احتيج إلى هذا التقديم ، لأن العطف في « إن » على الموضع لا يجوز إلا بعد تمام الكلام وانقضاء اسم « إن » وخبرها ، فتعطف على موضع الجملة » .

ويلاحظ هنا أن ابن الشجري لم ينقل كلام مكي هذا . إذ هو أول ما بدأ به إعراب هذه الآية ، ثم انتقل إلى رأي الفراء .

١٨ – في إعراب « ولِتَسْتَبِينَ سَبيل المجرمين » :

قال ابن الشجري [1] : المجلس الحادي والثمانون ، يتضمن ما لم نذكره

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من زلات مكي : فمن ذلك غلطه في قوله تعالى في سورة الأنعام : « وكذلك نُفصِّلُ الآياتِ ، ولِتَستَبِينَ سبيل المجرمين » (١) .

« قال – أي مكي – : من قرأه بالتاء ، ونصب السبيل ، جعل التاء علامة خطاب واستقبال ، وأضمر اسم النبي في الفعل . ومن قرأه بالتاء ورفع السبيل جعل التاء علامة تأنيث واستقبال ، ولا ضمير في الفعل ، ورفع السبيل بفعله . وحكى سيبويه : استبان الشيءُ ، واستبنتُه أنا . فأما من قرأه بالياء ، ورفع السبيل فإنه ذكّر السبيل لأنه يذكّر ويؤنث ، ورفعه بفعله . وأما من قرأه بالياء ونصب السبيل أضمر اسم النبي في الفعل ، وهو الفاعل ، ونصب السبيل ، لأنه مفعول به . واللام في لتستبينَ متعلقة بفعل محذوف تقديره : ولتستبين سبيل المجرمين فصّلناها » (٢) .

« وأقول : أي ابن الشجري :

إنه غلط في قوله : « واستقبال » بعد قوله : « جعل التاء علامة خطاب ، وجعل التاء علامة تأنيث ، لأن مثال تستفعل لا شَبَه بينه وبين مثال الماضي ، فتكون التاء علامةً للاستقبال ، فقولك : تستقيم أنت وتستعين هي ، لا يكون إلا للاستقبال ، تقول : أنت تستقيم غداً ، وهي تستعين بك بعد غد ، ولا تقول : تستقيم أمس ولا تستعين أول من أمس ، فهو بخلاف تفعل ، لأنك إذا قلت : أنت تبيّن حديثها وهي تبيّن حديثك ، أردت : تتبيّن ، فحذفت التاء الثانية استثقالاً للجمع بين مثلين

(١) الأنعام ٥٥ (٢) مشكل إعراب القرآن ٢٦٩/١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

متحركين كما حُذفت من قوله : « تَنزَّل الملائكةُ والروحُ فيها (١) » ، الأصل: تتنزل ، ففعل فيه ما ذكرنا من حذف الثانية ، ولما حذفت التاء من قولك « تتبين » صار بلفظ الماضي من قولك ، قد تبينَ الحديث . وفي قوله تعالى : « قد تبيّن الرشدُ من الغيّ (٢) » ، فحصل الفرق بين الماضي والمستقبل باختلاف حركة آخرها ، ففي هذا النحو يقال : التاء للخطاب والاستقبال ، أو التأنيث والاستقبال .

السبيل : مما ذكّروه وأنثوه ، فالتأنيث في قوله تعالى : « قل هذه سبيلي » (٣) . والتذكير في قوله تعالى : « وإن يرَوْا سبيلَ الرُّشْدِ لا يتّخِذوه سبيلًا وإن يَرَوْا سبيل الغَيِّ يتّخِذُوه سبيلا » (٤) . انتهى كلام ابن الشجري .

وأقول : إن ما قاله ابن الشجري فيه نظر ، ويحسن بنا قبل أن نقول شيئاً في هذه الآية أن نرجع إلى كتب اللغة حيث نجد فيها :

قال صاحب لسان العرب (٥) :

« والاستبانة : يكون واقعاً ، يقال : استبنتُ الشيء إذا تأملته حتى تبيّن لك ، قال الله — عز وجل — : « وكذلك نفصّل الآيات ولِتستبينَ سبيلَ المجرمين » . المعنى : ولتستبين أنت يا محمدُ سبيلَ المجرمين، أي : لتزداد استبانة وإذا بانَ سبيلُ المجرمين فقد بان سبيل المؤمنين .

---

(١) القدر ٤ (٢) البقرة ٢٦٥
(٣) يوسف ١٠٨ (٤) الأعراف ١٤٦
(٥) اللسان ج ١٦ ص ٢١٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأكثر القراء قرؤوا : « ولتستبين سبيلُ المجرمين » . والاستبانة ـ حينئذ ـ يكون غير واقع » .

وقال صاحب تاج العروس : (١)

« وقال الأزهري : الاستبانة : قد يكون واقعاً ، يقال : استبنت الشيءَ إذا تأملته حتى يتبينَ لك ، ومنه قوله تعالى : « ولتستبين سبيلَ ـ أي بالنصب ـ المجرمين » . المعنى : لِتستبينَ أنت يامحمد ، أي : لتزداد إجابة . وأكثر القراء قرؤوا : « لتستبين سبيلُ ـ أي برفعه ـ المجرمين » ، والاستبانة حينئذٍ غير واقع » .

ولدى تأملنا في هذين النصين المأخوذين من أصح كتب اللغة وأكثرها اعتماداً ، نرى أن الاستبانة : تكون لما هو واقع كما في قراءة النصب وإضمار اسم النبي ﷺ ويكون المعنى : لتزداد استبانةً أو إجابة ، وعلى هذا تكون التاء للاستقبال . وعلى القراءة الثانية ، أي قراءة رفع السبيل ، تكون الاستبانة غير واقع ، أي ستقع فيما بعد البيان في المستقبل ، فيكون معنى التاء الاستقبال أيضاً .

والحق أن ما قاله ابن الشجري لا يغير من الواقع شيئاً ، لأن المعنى في كلتا الحالتين ينصرف إلى المستقبل . كل ما هنالك أن مكياً يعتبر استفادة الاستقبال من التاء ، بينما يعتبرها ابن الشجري من الصيغة نفسها ، وليس هناك حاجة للنص على أنها من التاء . وإذا كان هذا واضحاً من الأمثلة التي ضربها ابن الشجري . فإن الالتباس قائم في الكلمة التي نحن

---

(١) تاج العروس ج ٩ ص ١٤٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بصددها « تستبين » بناء على كون الاستبانة واقعة أو غير واقعة كما تقدم، فكان النصُّ على ذلك لدفع مثل هذا الالتباس ، ولعل هذا ما دفع السمين أيضاً إلى أن يقول مثلَ قول مكي .

قال السمين في كتابه « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون »: « فالتاء في « تستبين » مختلفة المعنى ، فإنها في إحدى القراءات للخطاب، وفي الأخرى للتأنيث . وهي في كلا الحالين للمضارعة » .

١٩ – في إعراب « جنات من أعناب » :

قال ابن الشجري : (١) وقال – أي مكي – في « جنات » من قوله عز وجل :

« وهو الذي أنزلَ منَ السماءِ ماءً فأخرجْنا بهِ نباتَ كلِّ شيءٍ فأخْرَجنا منه خَضِراً نُخرجُ منه حَبّاً مُتراكِباً ومن النَّخْلِ من طَلْعِها قِنوانٌ دانيةٌ وجناتٌ من أعناب » (٢) :

قال مكي : « من نصب « جنات » عطفها على نبات ، وقد رُوي الرفع عن عاصم على معنى : ولهم جنات – على الابتداء – ولايجوز عطفها على قنوان لأن الجنات لا تكون من النخل » (٣) .

قال ابن الشجري : « أراد أنك لا ترفع جنات بالعطف على «قنوان» من قوله : « قنوان دانية » ، لأن القِنوان جمع : قِنْو ، وهو العِذْق التام ، ويقال له أيضاً الكِباسة . فلو عطفت « جنات » على « قنوان » صار المعنى :

---

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٧

(٢) الأنعام ٩٩ (٣) مشكل إعراب القرآن ١/٢٨١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب .

فقوله : لأن الجنات لا تكون من النخل ، فيه لَبْس ، لأنه يوهم أنها لا تكون إلا من العنب دون النخل ، وليس الأمر كذلك ، بل تكون الجنة من العنب على انفراده ، وتكون من النخل على انفراده ، وتكون منها معاً . فدلالة كونها منها معاً قوله : « أو تكونَ لك جَنَّةٌ من نَخيلٍ وعِنَبٍ [1] » ، ودلالة كونها من النخل على انفراده قول زهير :

كأنَّ عَيْنَيَّ في غَرْبَيْ مُقتَّلَةٍ من النواضِحِ تَسْقي جنةً سُحُقا

قوله : سحقاً : صفة لمضاف محذوف ، فالتقدير : تسقي جنة نخل سحقاً ، لأن السُحُق جمع سَحوق ، وهي النخلة الباسقة ، فكان الصواب أن يقول : لأن الجنات التي من الأعناب لا تكون من النخل » .

قول زهير : كأن عيني في غربي مقتلة : الغَرْبان : الدلوان الضخمان. والمقتلة : المذلَّلة ، وإنما جعلها مذللة لأن المذللة تخرج الغَرب ملآن يسيل من نواحيه . والصعبة تنفر فتُهَرِيقه فلا يبقى منه إلا صُبابة . وكل بعير استُقي عليه فهو ناضح ، والرجل الذي يستقي عليه ناضح » ـ انتهى كلام ابن الشجري .

ويلاحظ ـ هنا ـ كذلك تكلُّف ابن الشجري حيث ينصب انتقاده على قول مكي : « لأن الجنات لا تكون من النخل » ، وكان يجب عليه أن يقول ـ كما يقرر ابن الشجري ـ : لأن الجنات التي من الأعناب

(١) الإسراء ٩١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا تكون من النخل . هكذا !! كأن مكياً في هذه الآية – في نظر ابن الشجري – يتكلم على اللغة لا على الإعراب متجاهلاً للقرائن القائمة التي تمنع اللبس والإبهام الذي يدّعيه ، لأن مكياً يتكلم في آية معينة وفي كلمات بذاتها ، فحينما يطلق الكلام ، إنما يطلقه على ما يبحث فيه ؛ و« الجنات » التي يتكلم فيها مكي ، وهي الجنات الواردة في الآية ، هي من العنب ؛ فإذا قال : « الجنات » إنما يريد بها : الجنات المعهودة التي يتكلم فيها ، والتي هي من الأعناب . والقرينة توضح هذا وتجليه ، وهو أن المقام مقام عطف على « قنوان » ، والقنوان من النخيل ؛ فلو جاز هذا العطف لصارت الجنات من الأعناب من النخيل ، أي جزءاً منه ، وهذا ما يفهم من كلام مكي ، ولا يفهم منه ما فهمه ابن الشجري ، أو أراد أن يفهمه .

ولو أننا جارينا ابن الشجري فيما يقول وذهبنا نبحث عن معنى الجنة عند مكي في تفسيره فماذا نجد ؟

يقول مكي في كتاب « الهداية إلى بلوغ النهاية في تفسير القرآن وأنواع علومه » في معرض تفسيره لقوله تعالى : « . . وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار . . »(١) :

« . . . وسميت الجنة جنةً ، لأنها تُجِنُّ من دخلها ، أي تستره أشجارُها وثمارها . والجنة – عند العرب : البستان والنخل والشجر . . . » .

وهذا كله فيما لو سلّمنا أن عبارة « لأن الجنات لاتكون من النخل »

(١) البقرة ٢٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من كلام مكي، وهي في الحقيقة من كلام أبي حاتم الذي حكاه مكي، ويمكن التأكد من ذلك بالرجوع إلى كتاب « إعراب القرآن للنحاس ».

يقول أبو جعفر النحاس (١) : وجناتٍ من أعناب : بالنصب عطفاً على « فأخرجنا به نباتَ » وهي قراءة العامة. وقرأ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى والأعمش، وهو الصحيح من قراءة عاصم : «وجناتٌ» بالرفع، وأنكر هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم، حتى قال أبو حاتم : هي محال، لأن الجنات لا تكون من النخل.

قال أبو جعفر : والقراءة جائزة، وليس التأويل على هذا، ولكنه رفع بالابتداء، والخبر : محذوف، أي : ولهم جنات، كما قرأ من القراء جماعة : « وحور عين »، وأجاز مثل هذا سيبويه والكسائي والفراء، ومثله كثير، وعلى هذا أيضاً : « حوراً عيناً » - حكاه سيبويه وأنشد:

جئني بمثلِ بني بدرٍ لقومِهِمُ أو مثلِ أسرةِ منظورِ بنِ سيّارِ

- من شعر جرير -

فأما : « والزيتون والرمان » فليس فيه إلا النصب بإجماعٍ على ذلك.

٢٠ — في وزن « ادّاركوا » :

قال ابن الشجري (٢) :

ومن أغاليطه — أي مكي — قوله في قوله تعالى في سورة الأعراف :

---

(١) إعراب القرآن — ورقة ٦٩ نسخة مكتبة فاتح التركية.

(٢) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً ، قالَتْ أخْراهُم لأُولاهُم »[١] .

قال مكي : أصـــل « اداركوا » : تداركوا ـ على تفاعلوا ، ثم أدغمت التاء في الدال فسكن أول المدغم ، فاحتيج إلى ألف الوصل في الابتداء بها ، فثبتت الألف في الخط ، ولا يستطاع وزنها مع ألف الوصل ، لأنك ترد الزائد أصلياً ، فتقول : وزنها : افتاعلوا ، فتصير تاء « تفاعلوا » فاء الفعل لإدغامها في فاء الفعل وذلك لايجوز ، فإذا وزنتها على الأصل جاز ، فقلت « تفاعلوا »[٢] ـ انتهى الكلام .

« وأقول ـ أي ابن الشجري :

إن عبارته في هذا الفصل مختلة ، ورأيت في نسخة من هذا التأليف : « لا يستطاع على وزنها » ، لأن « استطعت » مما يتعدى بنفسه ، كما جاء : « فلا يستطيعون توصية[٣] » ، وتستطاع ـ بالتاء ـ جائز ـ على قلق فيه ، وكان الأَوْلى أن يقول : ولا يسوغ وزنها مع التلفظ بتاء « تفاعلوا » فاءً . ثم إن منعه أن توزن هذه الكلمة وفيها ألف الوصل غير جائز ، لأنك تلفظ بها مع إظهار التاء فتقول : وزن « اداركوا » : اتفاعلوا ، وإن شئت قلت : « ادفاعلوا » ، فلفظت بالدال المبدلة من التاء » .

ولدى تأملنا فيما قاله ابن الشجري نجد :

١) ملاحظته على تعدية الفعل « استطاع » ، حيث قال : إنه وجد في نسخة : « ولايستطاع على وزنها » وكان الأَوْلى أن يقول : ولايسوغ وزنها .

---

(١) الأعراف ٣٨

(٢) مشكل إعراب القرآن ١/٣١٥ (٣) يس : ٥٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهكذا قد اعتبر ابن الشجري هذه النسخة التي فيها « يستطاع على وزنها » ، هي الأصل وترك النسخ الأخرى الصحيحة التي فيها « ولا يستطاع وزنها » ، وهو في هذا يريد تصيُّد السقطات ، ولو كان ذلك من خطأ ناسخ أو وهم كاتب . ويرحم الله مكياً ، فقد كان دائماً يطلب من قارىء كتبه أن يغض طرفه عن خطأ ناسخ أو وهم كاتب ، ولكن ابن الشجري يريد أن يعتبر ذلك هو الأصل ، ليجد مادة يتكلم فيها .

ثم يقترح ابن الشجري على مكي لفظاً بدل لفظه ، فيقول ، وكان الأولى أن يقول : « ولا يسوغ وزنها بدلاً من : ولا يستطاع وزنها » ، ولاشك أن كلمة « ولا يستطاع وزنها » أفضل هنا وأدلّ على المقصود من كلمة « ولا يسوغ وزنها » ، وأي ضير في أن تبقى الكلمة على أصلها الذي جاء به مكي .

٢) ملاحظته على وزن « ادّاركوا » ، حيث يمنع مكي أن توزن إلا على الأصل ، في حين يجيز ابن الشجري وزنها على « اتفاعلوا » أو « ادفاعلوا » معللاً ذلك بقوله : « فلفظت بالدال المبدلة من التاء » .

ولا شك أن ابن الشجري لم يعلل وزنه تعليلاً واضحاً ، وقد حاولت أن أعرف رأي المفسرين فيها قبل أن أناقش ابن الشجري في قوله ، فوقفت على قول للسمين في كتابه « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون » يؤيد رأي ابن الشجري ، بل يعلله ويوضحه ، ولا بأس من أن نذكر رأي السمين حتى تتضح المسألة ويسوغ نقاشها . يقول السمين :

« قال مكي : ولا يستطاع اللفظ بوزنها مع ألف الوصل ، لأنك تردّ الزائد أصلياً فتقول : افاعلوا ، فتصير تاء « تفاعلوا » فاءَ الفعل ، لإدغامها

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في فاء الفعل ، وذلك لا يجوز ، فإن وزنها على الأصل ، فقلت : « تفاعلوا » جاز .

قلت : هذا الذي ذكره من كونه لا يمكن وزنه إلا بالأصل ، وهو « تفاعلوا » ممنوع قوله : « لأنك ترد الزائد أصلياً » ، قلنا : لا يلزم ذلك ، لأنا نزنه بلفظه مع همزة الوصل ، ونأتي بتاء التفاعل بلفظها ، فنقول وزن « اداركوا » : اتفاعلوا ، فنلفظ بالتاء اعتباراً بأصلها ، لأنها صارت إليه حال الإدغام .

ثم يقول السمين : وهذه المسألة نصّوا على نظيرها ، وهو أن تاء الافتعال إذا أبدلت إلى حرف متجانس لما بعدها ، كما تبدل طاء أو دالاً في نحو : اضطر واضطرب ، وازدجر ، وادكر ، إذا وزن ما هي فيه ، قالوا : يلفظ في الوزن بأصل تاء الافتعال ، ولا يلفظ بما صارت إليه من طاء أو دال ، فتقول وزن : اضطر : افتعل ، لا : « افطعل » ووزن « ازدجر » : افتعل ، لا : افدعل ، فكذلك تقول ـ هنا : وزن « اداركوا » : اتفاعلوا ، لا افاعلوا ، فلا فرق بين تاء الافتعال والتفاعل في ذلك » .

وأقول : إن القاعدة التي اعتمد عليها السمين وابن الشجري في أحكامها صحيحة ، ولكن تطبيقها للقاعدة لم يكن صحيحاً ، وذلك لأن القاعدة في الإبدال ، والحالة التي نحن بصددها ليس فيها إبدال ، وإنما فيها إدغام ، وهناك فرق بين الإبدال والإدغام . فالإبدال : يعني أن نبدل حرفاً بحرف آخر . أما الإدغام فهو إدخال حرف في حرف بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً ، والتشديد في الحرف يدل على أنهما حرفان ، وليسا بحرف واحد ، وحينما نفك الإدغام يعودان حرفين كذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبناء على هذا لا يصح قياس ابن الشجري والسمين للإدغام على الإبدال وتوضيح ذلك كما يلي :

إن السمين يقول وزن « اصطبر » : افتعل وذلك أنه ردّ الطاء إلى تاء باعتبار أنها مبدلة عنها ، وهذا صحيح ، لأن أصل الفعل « صبر » ووزنه « فعل » فتكون تاء الافتعال الزائدة توازي الطاء المبدلة عن تاء ، وكلاهما حرف زائد ، وبقيت الصاد التي هي فاء الفعل في مكانها فاءً للفعل . بخلاف « اداركوا » ، فإذا قلنا وزنها : « اتفاعلوا » . أصبحت التاء الزائدة تقابل فاء الفعل الذي هو الدال وهو حرف أصلي ، لأن أصله : «درك» ، وهذا هو الذي يمنع منه مكي ، لأن الأصلي يجب أن يقابل الأصلي ، والزائد ينبغي أن يقابل الزائد ، فظهر الفوق بين الكلامين .

وقد قال ابن الأنباري - تلميذ ابن الشجري - في « البيان في غريب إعراب القرآن »[1] مثل قول مكي :

[قوله تعالى : « حتى إذا اداركوا فيها جميعاً » :

ادّاركوا : أصله : تداركوا على وزن « تفاعلوا » إلا أنه أبدلت التاء دالاً وأدغمت الدال في الدال فسكنت الدال الأولى ، والابتداء بالساكن محال ، فاجتلبت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن . ونظيره : « ادّارأتم » و « اطّيّرنا » . ولا يجوز أن يوزن مع ألف الوصل فتقول « افّاعلوا » لأنه يصير الزائد أصلياً ، لأن التاء الزائدة صارت فاء الفعل لإدغامها فيها وذلك لايجوز] .

(١) ١/٣٦٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبذلك يقف ابن الأنباري ـ تلميذ ابن الشجري ـ إلى جانب مكي يؤيد رأيه ويؤكده . ويعتبره القول الصحيح الذي لا يجوز العدول عنه إلى غيره .

٢١ ـ في إعراب « ساء مثلًا القوم » :

قال ابن الشجري : (١) وقال ـ أي مكي ـ قوله تعالى :

« ساء مثلًا القومُ الذين كذّبوا بآياتنا وأنفسَهم كانوا يظلمون » : (٢)

في « ساء » : ضمير الفاعل . ومثلًا : تفسير . والقوم : رفع بالابتداء . وماقبلهم : خبرهم ، أو رفع على إضمار مبتدأ ، تقديره : ساء مثلًا هم القوم الذين كذبوا ، مثل نِعمَ رجلًا زيد . وقال الأخفش : تقديره : ساء مثلًا مثلُ القوم (٣) .

« قلت ـ أي ابن الشجري .

« ساء بمنزلة « بئس » ، وهذا الباب لايكون فيه المقصود بالذم أو المدح إلا من جنس الفاعل ، فلايجوز « بئس مثلًا غلامك » ، إلا أن يراد : « مثل غلامك ، فحذف المضاف . فقول الأخفش : هو الصواب . ومن زعم أن التقدير : ساء مثلًا هم القوم فقد أخطأ خطأً فاحشاً » .

وأقول : إن ما قاله ابن الشجري ـ هنا ـ فيه نظر ، وذلك أن مكياً حينما قدر : ساء المثل مثلًا هم القوم ... مثّل له بقوله : نعم رجلًا زيد . ولم يتكلم ابن الشجري على هذا المثل ، لأنه صحيح . ولو قلنا بدلاً منه :

---

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٩

(٢) الأعراف ١٧٧ (٣) مشكل إعراب القرآن ١/٣٣٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ساء مثلاً زيد ، لكان جائزاً أيضاً ، بحيث يصبح المعنى : ساء مثلا لغيره زيد ، أي إنه مثل سيء لغيره . وكذلك يصبح المعنى على تقدير مكي : ساء المثل مثلاً هم القوم . . . أي إنهم أصبحوا مثلاً سيئاً لغيرهم ، وليس المراد سوء مثلهم الذي ضرب لهم . وعلى هذا يصح المعنى ، ولا يرد كلام ابن الشجري ، فعلى التقدير الأول : يكون القوم مثلاً سيئاً لغيرهم ، وعلى التقدير الثاني : يكون مثلهم الذي سبق أن ضرب لهم وهو « مثل الكلب » هو المثل السيء .

٢٢ – في إعراب « كما أخرجك ربك » :

قال ابن الشجري (١) :

ومن الأغاليط الشنيعة أقوال حكاها في سورة الأنفال في قوله تعالى : كما أخرجَكَ ربُّك مِنْ بيتِكَ بالحقِّ وإنَّ فريقاً من المؤمنين لكارهون » (٢).

« قال – أي مكي : الكاف من « كما » في موضع نصب نعت لمصدر محذوف « يجادلونك » أي : جدالاً كما . وقيل : هي نعت لمصدر دل عليه معنى الكلام ، تقديره : قل الأنفالُ ثابتة لله والرسول ثبوتاً كما أخرجك . وقيل : هي نعت لحقٍّ ، أي : هم المؤمنون حقاً كما . وقيل : الكاف : في موضع رفع ، والتقدير : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فاتقوا الله . فهو ابتداء وخبر . وقيل : الكاف : بمعنى الواو للقسم ، أي : الأنفال لله والرسول والذي أخرجك (٣) » – انتهى .

---

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٩

(٢) الأنفال ٥ (٣) مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٤٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« وأقول — أي ابن الشجري :

وهذه أقوال رديئة منحرفة عن الصحة انحرافاً كلياً ، وأوغلها في الرداءة القول الرابع والخامس ، فقوله : الكاف ، من « كما » في موضع رفع بالابتداء ، وخبره : فاتقوا الله ، قولٌ ظاهر الفساد من وجوه :

أحدها : أن الجملة التي هي : « اتقوا الله » مع تقديمها على الكاف ، بينها وبين الكاف فصل بثلاث آيات وبعض آية رابعة ، وهـــذا الفاصل مشتمل على عشر جمل ، وليس في كلام العرب ، ولا في الشعر الذي هو محلّ الضرورات ، خبر قدم على المخبر عنه مع الفصل بينهما بعشر جمل أجنبية .

والثاني : دخول الفاء في الجملة التي زعم أنها الخبر ، والفاء لا تدخل في خبر المبتدأ إلا أن يغلب عليه شبه الشرط بأن يكون اسماً موصولاً بجملة فعلية ، أو يكون نكرة موصوفة ، كقولك : الذي يزورني فله درهم ، وكل رجل يزورني فله درهم ، أو يكون خبر المبتدأ الواقع بعد « أما » .

والثالث : أن الجملة التي هي قوله : « فاتقوا الله » خالية من ضمير يعود على الكاف الذي يزعم أنه مبتدأ ، وهي مـــع ذلك جملة أمرية ، والجمل الأمرية لا تكاد تقع أخباراً إلا نادراً ، وتمثيل هذا الذي قد قدّره قائله — وهو تقدير باطل — قولك : فاتق الله كما أخرجك زيد من الدار ، وأي فائدة في انعقاد هذين الكلامين .

والقول الآخر التابع لما قبله في الرذالة والأخذ بالحظ الوافر من الاستحالة قول من زعم أن الكاف للقسم ، بمنزلة الواو ، وهذا مما لا تجوز حكايته فضلاً عن تقبّله . وما علمت في مذهب أحد ممن يوثق بعلمه في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

النحو بصري ولا كوفي ، أن الكاف تكون بمنزلة الواو في القسم ، فلو قال قائل : كالله لأخرجن ، لاستحق أن يبصق في وجهه .

ثم إنه جعل هذا القَسَم واقعاً على أول السورة ، وجعل « ما » التي في قوله : « كما أخرجك » بمعنى « الذي » وجعلها واقعة على القديم — تعالى جده — مع جعله الكاف بمعنى الواو ، فقال في حكايته : الأنفال لله والرسول والذي أخرجك . وهذا لو كان على ما تلفظ به لوجب أن يكون فاعل أخرجك مضمراً عائداً على «الذي» وكيف يكون في « أخرجك » ضمير ، والفاعل : ربك . ثم تعليقه لهذا الذي زعم أنه قسم بأول السورة يجري مجرى القول الذي قبله في تباعد المتعاقدين .

وأما قوله : إن موضع الكاف نصب على أنها نعت لمصدر « يجادلونك في الحق » ، معناه : في إخراجك من بيتك وخروجهم معك ، فلهذا قال : كأنما يساقون إلى الموت ، فيكون المعنى — على هذا التأويل : يجادلونك في إخراجك من بيتك جدالاً مثلما أخرجك ربك من بيتك ، فهذا تشبيه الشيء بنفسه ، لأنه شبّه إخراجه من بيته بإخراجه من بيته .

وقوله : إن الكاف تكون نعتاً لمصدر يدل عليه معنى الكلام ، تقديره : قل الأنفال ثابتة لله والرسول ثبوتاً كما أخرجك ، فهذا أيضاً ضعيف لتباعد ما بينهما . وأقرب هذه الأقوال إلى الصحة قوله : إن الكاف تكون نعتاً للمصدر الذي هو « حقاً » لأمرين :

أحدهما : تقارب ما بينهما .

والآخر : أن إخراجه من بيته كان حقاً بدلالة وصفه له بالحق في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، وإيراد مكي لهذه الأقوال الفاسدة ، من غير إنكار شيء منها ، دليل على أنه كان مثل قائلها في عدم البصيرة .

ثم يقول ابن الشجري : والقول في تحقيق إعراب هذا الحرف أن قوله تعالى : « يسألونك عن الأنفال » - الآية نزلت في أنفال أهل بدر ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رأى قلة أصحابه وكراهيتهم للقتال قال ليرغبهم في القتال : « من قتل قتيلاً فله كذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا » . فلما فرغ من أهل بدر قام سعد بن معاذ ، فقال : يا رسول الله ، إن نفلت هؤلاء ما سميتَ لهم بقي كثير من المسلمين بغير شيء . فأنزل الله : قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله في قسمة الغنائم فهي له يصنع فيها ما يشاء ، فسكتوا وفي أنفسهم من ذلك كراهية ، وهو قوله : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره منهم - من المسلمين - فامض لأمر الله في المغانم كما مضيت على مخرجك وهم له كارهون .

فموضع الكاف - على هذا - رفع بأنها مع ما اتصلت به خبر مبتدأ محذوف ، فالتقدير : كراهيتهم لقسمتك الأنفال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون .

فقوله : كما أخرجك ، معناه : مثل إخراجك ، وإن قدرت المبتدأ هذا وأشرت به إلى كراهيتهم لقسمة النبي ﷺ للأنفال : فأردت : « هذا كما أخرجك » معناه : مثل إخراجك ربك من بيتك بالحق ، فحسن وبالله التوفيق » انتهى كلام ابن الشجري .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا بد لنا قبل أن نعلق بشيء على ما قاله ابن الشجري من أن نبين أصحاب هذه الأقوال ، لنعرف على من تقع هـذه الشتائم التي قذف بها ابن الشجري .

أما القول الأول الذي ناقشه ابن الشجري ، والذي قال فيه : « .. وأوغلها في الرداءة القول الرابع والخامس فقوله : الـكاف من كما : في موضع رفع بالابتداء ، وخبره : فاتقوا الله . قول ظاهر الفساد من وجوه .. » أقول : إن هذا القول ذكره الطبري وعزاه إلى عكرمة : قال الطبري (١): حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا عبـد الوهاب قال : حدثنا داود عن عكرمة : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » . الآية ـ أي أن هذا خير لكم ، كما كان إخراجك من بيتك بالحق خيراً لك .

وأما القول الثاني الذي ناقشه ابن الشجري فهو القول بأن الـكاف بمعنى « الواو » للقسم ، والذي قال فيه : « .. وهذا لا تجوز حـكايته فضلاً عن تقبله ... » .

نقول : إن هذا القول حكاه الطبري أيضـاً عن جماعة بقوله (٢) : وقال آخرون منهم ـ أي أهل العربية ـ هي بمعنى القسم . قال : ومعنى الكلام : والذي أخرجك ربك .. ، وقد نسب هذا القول غير واحد من المفسرين إلى أبي عبيدة ، وقد حكاه معظم المفسرين في كتبهم إن لم نقل

(١) تفسير الطبري ج ٩ ص ١٨١ ـ طبعة الحلبي

(٢) المصدر السابق ١٨٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كلهم . وعلى هذا فكلام ابن الشجري ، وسبه وقذفه يسري على الجميع .

على أني قد رجعت إلى كتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ، لأتأكد من صحة نسبة القول إليه ، فإذا هو يقول : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » :

« مجازها مجاز القسم ، كقولك : والذي أخرجك ربك لأن « ما » في موضع « الذي » وفي آية أخرى : « والسماء وما بناها » (٥/٩١) أي : والذي بناها ، وقال :

دعيني إنما خطئي وصوبي عليّ وإن ما أهلكت مال

أي وإن الذي أهلكت مالٌ ، وفي آية آخرى : « إن ما صنعوا كيد ساحر » (٢٠/٦٩) : إن الذي فعلوه كيد ساحر فلذلك رفعوه (١)

وأما القول الثالث الذي ناقشه ابن الشجري فهو أن الكاف نصب على أنها نعت لمصدر يجادلونك في الحق ، معناه : جدالاً كما . وهذا القول قال به الألوسي (٢) ونسب ذلك إلى الكسائي .

وأما القول الرابع الذي ضعفه ابن الشجري وهو « أن تكون نعتاً لمصدر يدل عليه معنى الكلام ، تقديره : قل الأنفال ثابتة لله والرسول ثبوتاً كما أخرجك » وهذا القول نسبه أبو حيان في البحر المحيط (٣) إلى

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة (٢١٠ هـ) تحقيق فؤاد سزكين ، نشر محمد سامي أمين الخانجي الكتبي بمصر ١٣٧٤ - ١٩٥٤ ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٢) روح المعاني ج ٩ ص ١٥١

(٣) البحر المحيط ج ٤ ص ٤٦٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الزجاج ، وعلق عليه أبو حيان بقوله : وهذا الفعل أخذه الزمخشري وحسنه».

وأما القول الخامس الذي اعتبره ابن الشجري أقرب الأقوال إلى الصحة وهو : « أن تكون الكاف نعتاً للمصدر الذي هو حقاً » فهو قول الأخفش كما نقله أبو حيان أيضاً (١) .

ومن هذا النقل نرى أن هذه الأقوال أقوالُ أئمة اللغة والتفسير تناقلوها في كتبهم خلفاً عن سلف ، ولم يجدوا في ذلك غضاضة ولا مطعناً ، ولقد ذكر أبو حيان في تفسير هذا الحرف خمسة عشر قولاً ، منها هذه الأقوال ، كما ذكر السمين فيها عشرين قولاً تشتمل على الأقوال الخمسة التي نقلها مكي . وقد قال أبو حيان في تفسيره (٢) : اضطرب المفسرون في قوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، واختلفوا على خمسة عشر قولاً . ثم أخذ يعدد هذه الأقوال ويورد الاعتراضات على كل واحد منها ، ولم يسلم من ذلك القول الذي أخذ به ابن الشجري ـ وهو قول الفراء ـ حيث علق عليه أبوحيان وعلى قول الكسائي بقوله (٣) : « وقد كثر الكلام في هاتين المقالتين ولا يظهران ، ولا يلتئمان من حيث دلالة العاطف » . وبعد أن يورد أبو حيان الخمسة عشر قولاً » (٤) يقول : « وقد انتهى ذكر هذه الأقوال الخمسة عشر التي وقفنا عليها ، ومن دفع إلى حوك الكلام ، وتقلب في إنشاء أفانينه وزاول الفصاحة والبلاغة لم يستحسن

---

(١) البحر المحيط ج٤ ص ٤٦٢

(٢) البحر المحيط ج ٤ ص ٤٥٩

(٣) البحر المحيط ج ٤ ص ٤٦٢

(٤) المصدر السابق صفحة ٤٦٢ ـ ٤٦٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شيئاً من هذه الأقوال ، وإن كان لبعض قائليها إمامة في علم النحو ورسوخ قدم ، لكنه لم يحتط بلفظ الكلام ، ولم يكن في طبعه صوغه أحسن صوغ ، ولا التصرف في النظر فيه من حيث الفصاحة وما به يظهر الإعجاز. ثم يذكر قولاً له خرّجه في منامه . قال أبو حيان (٣) :

« وقبل تسطير هذه الأقوال ـ هنا ـ وقعت على جملة منها ، فلم يلق لخاطري منها شيء ، فرأيت في النوم أنني أمشي في رصيف ، ومعي رجل أباحثه في قوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » فقلت له : مامرّ بي مشكل مثل هذا ، ولعل ثَمّ محذوفاً يصح به المعنى ، وما وقفت فيه لأحد من المفسرين على شيء طائل ، ثم قلت له : ظهر لي الساعة تخريجه ، وإن ذلك المحذوف هو : نصرك ، واستحسنت أنا وذلك الرجل هذا التخريج ، ثم انتبهت من النوم وأنا أذكره ، والتقدير : فكأنه قيل : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق أي بسبب إظهار دين الله وإعزاز شريعته ، وقد كرهوا خروجك تهيباً للقتال وخوفاً من الموت ، إذ كان أمرُ النبي ﷺ لخروجهم بغتة ولم يكونوا مستعدين للخروج ، وجادلوك بالحق بعد وضوحه ، نصرك الله وأمدك بملائكته ، ودل على هذا المحذوف الكلام الذي بعده ، وهو قوله تعالى : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم » الآيات.

ثم يقول أبو حيان : ويظهر أن الكاف في هذا التخريج المنامي ليست لمحض التشبيه ، بل فيها معنى التعليل ، وقد نص النحويون على أنها

---

(١) البحر المحيط ج ٤ ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣

(٢) الأنفال ٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قد تحدث فيها معنى التعليل ، وخرّجوا عليه قوله تعالى : « واذكروه كما هداكم (١) »

فكأن المعنى : إن خرجت لإعزاز دين الله وقتل أعدائه نصرك الله وأمدك بالملائكة . والواو في « وإن فريقاً » واو الحال .

ومن كل ما تقدم نرى أن هذا الحرف مشكل ، وقد اضطرب فيه المفسرون واللغويون والنحويون ، وليس فيه قول إلا وعليه إيراد ، بما في ذلك رأي الفراء الذي رجحه ابن الشجري ومن أخذه بنص كاملاً دون أن ينسبه إليه (٢) .

وأما ادعاء ابن الشجري بأن مكياً أورد هذه الأقوال دون أن يعقّب على واحد منها فهو ادعاء غير مسلم ، ويبدو أن النسخة التي اطلع عليها ابن الشجري فيها نقص ، كالنسخة التي رأيتها في المدينة ، حيث لم يذكر فيها سوى خمسة أوجه في إعراب هذا الحرف ، ويبدو أن هناك نسخاً تزيد أربعة أوجه أخرى على الأوجه السابقة ، وفيها تعقيب على بعض الأقوال السابقة وبيان لضعفها ، كما ورد في نسخة دار الكتب المصرية(٣) حيث جاء فيها :

ويجوز أن يكون في موضع رفع ، نعتاً لـ « رزق » ـ الآية ـ ٤ فيكون نعتاً بعد نعت ، أي رزق يماثل الإخراج .

---

(١) البقرة ١٩٨

(٢) إنظر معاني القرآن للفراء ج ١ ص ٤٠٣ ـ طبعة دار الكتب ـ تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار .

(٣) مشكل إعراب القرآن ـ مخطوطة دار الكتب ـ رقم (٢٣٢ تفسير تيمور).

هدية مجمع اللغة العربية بالقاهرة مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويجوز أن يكون في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف ، أي : ذلك.

كما يجوز أن يكون في موضع نصب متعلق بفعل أمر ، أي : امض كما أخرجك ، كما تقول : افعل كما أمرك . واخرج كما أخرجك، وإلى هذا أشار قطرب .

ويجوز أن يكون أمر النبي ﷺ بإمضاء قسمة أمر الغنائم على كره من السائلين ، كما أمر بإمضاء الخروج للقتال ، على كره من مفارقة بيوتهم .

وإلى هذا المعنى أشار الفراء. فتكون الكاف في موضع نصب على الحال ، أي : كرهاً كما أخرجت على كرهٍ من فريق .

وأما القسم الذي ذكر ، فهو قول أبي عبيدة ، لأن الناس يقولون : كما تصدقت علي بالعافية لأتوبن ، لأفعلن ، فخرج مخرج القسم ، وهو غريب .

فهذه تسعة أوجه .

كذلك نلاحظ هنا أن مكياً قد ذكر قول الفراء الذي اختاره ابن الشجري ، كما ضعف رأي أبي عبيدة بالقسم ، بقوله : وهو غريب وبذلك تتساقط مغالطات ابن الشجري واحدة واحدة .

— للبحث صلة —

أحمد حسن فرحات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net